

الكاتب المصري

مجلة أدبية شهرية

رئيس التحرير : طه حسين

فهرس

| | | | |
|-----|-------|--------------------------------------|--------------------|
| ٧ | | ما وراء النهر (قصة) [يتبع] | طه حسين |
| ٢٣ | | حديث الامبراطورية البريطانية | محمد رفعت |
| ٣٣ | | بلاد المغرب | محمد عزى |
| ٣٩ | | سأخ في العالم الجديد | محمد تيمور |
| ٥٢ | | أندلسية (قصيدة) | علي محمود طه |
| ٥٥ | | فصول لم تنشر من آثار الجاحظ | طه الماجرى |
| ٦٣ | | رأى في ترتيب المعجم العربي الحديث .. | طه الراوى |
| ٦٩ | | إهتمامات ودراسات العلمية | سلامه موسى |
| ٧٨ | | مسألة الهند وقضية الباكستان | محمد عبد الله عنان |
| ٨٥ | | جولدتسيهر أبو الدراسات الاسلامية | س. د. غيوطاين |
| ٩٦ | | التروبادور وشعراء الاندلس | إتيامبل |
| ١٠١ | | بعد انتضاء عامين (قصيدة) | عبد الرحمن صدق |
| ١٠٣ | | طيب القرية (قصة) | فراز كفكا |
| ١١٠ | | حول مشروع بحيرة طابا | سراد كامل |
| ١١٩ | | المحن الضائع (قصة) | غوى شهاب |
| ١٢٤ | | إنطلاق (قصيدة) | عبد الرحمن المنيسى |
| ١٢٦ | | الآختان (قصة) | محمد الدسوقى |
| ١٢٩ | | خطرات في الفنون الجميلة | أحمد فكرى |
| ١٤١ | | قصة سلامان وأبال | عباس أجد |

من هنا وهناك (بشر فارس - على حافظ)

شهرية السياسة الدولية - شهرية المرح والسبنا - من كتب الشرق والغرب
من وراء البحار - ظهر حديثاً - في مجلات الشرق - في مجلات الغرب



تصدرها دار الكاتب المصري

شركة مطبعة
القاهرة

الكاتب المصري



فبراير ١٩٤٧

ربيع الأول ١٣٦٦

مجلد ٥ - عدد ١٧

السنة الثانية

ما وراء النهر^(١)

وأنت بالطبع عجل ، تريد أن ترى صاحب القصر . وأنا مثلك عجل أريد أن أراه ؛ لأن الأمد بينه وبينى قد بعد وأسرف في البعد . والشاعر نفسه يريد أن يلقاه منذ سمع من نعيم ما سمع ، وعرف من أمر الأسرة ما عرف ، وروعه من هذا الطلاق ما روعه . وهو من أجل ذلك حريص على أن يسرع الخطو ، لولا أن إسراع الخطو لا يليق بالشيخ ، الذين أفيانهم مر الغداة وكر العشى ، وعظفتهم الأيام على العصا ، وعلمتهم المشى على ثلاث ، فخطوهم متقارب ، وسعيهم بطى . وشاعرنا حريص دائماً على أن يكون شيخاً متهالكا ، قصير الخطو بطى السعى . وهو على ذلك كله عجل يريد أن يلقى صاحب القصر ، فيسمع منه ويقول له . وهو من أجل ذلك لا يمد الخطو لأنه لا يستطيع ، أو لا يريد أن يستطيع أن يمد الخطو ، وإنما يتعجل على أسلوبه في التعجل ، فيسعى إلى أمام ، لا يقف كما تعود أن يقف دائماً أمام آيات الفن هذه الرائعة التي نسقت في أهباء القصر تنسيقاً ليس أقل منها روعة وجمالا .

والشاعر متعود ألا يمر بهذه الآيات مرّاً سريعاً أو بطيئاً ، دون أن يقف عندها ، ملقياً إليها تحيات الاعجاب والحب ، واقفاً عند هذا التمثال مطيلاً إليه النظر ، مهدباً إليه الحديث ، منتظراً منه الجواب ، وواقفاً عند هذه الصورة محملاً معللاً ، مستوحياً مفتوناً . وواقفاً عند هذه القطعة أو تلك من قطع الأثاث الفخم القديم ، يلتهمها بعينه التهاماً ، ويداعبها بيده مداعبة رقيقة ، يصنعه ذلك كل ما دخل القصر ليلقى صاحبه في مكتبه أو في حجرة من حجرات الاستقبال ،

(١) الكاتب المصري عدد ١٤ و ١٥ و ١٦ (نوفمبر - ديسمبر ١٩٤٦ ، يناير ١٩٤٧) .

لا يمنع من ذلك مانع مهما يكن ، ولا يصرفه عنه صارف مهما تكن الظروف وهو من أجل ذلك ينفق وقتاً غير قصير منذ يبلغ أرق سلم القصر إلى أن يصل إلى صاحبه ، سواء كان على موعد أم زار على غير ميعاد ، وربما ضرب لصاحب القصر موعداً للقاء في الساعة الحادية عشرة ، ولكنه يقول ضاحكاً على أنى ساءكون هنا قبل أن تبدأ الساعة العاشرة ؛ وربما نسى الموعد نسياناً تاماً ، وانتظره صاحب القصر ، فلما طال عليه الانتظار خرج يلتمسه في هذا البهو أوداك ، فوجده قائماً أمام صورة ، أو تمثال ، أو أثاث ، وقد استأثر به إعجاب ينتهي إلى شئ يشبه الذهول . ذلك أن هذا القصر ، ليس كغيره من قصور الأغنياء المترفين ، يزدان بفخامته وضخامته ، وامتلأه بالأثاث الفاخر الكثير قد نسق على وجه يلائم الذوق أو لا يلائمه ، ولكنه يدل دائماً على ضخامة الثروة ، وكثرة المال ، وحب الانفاق ؛ وإنما هو قصر له فخامته وضخامته ، ولكنه أشبه بالمتحف منه بالقصر . فليس فيه إلا ما يروق النفس ، ويلذ العين ، ويملاء القلب رضا وإعجاباً ؛ قد جمعت فيه آيات من الفن . على اختلاف هذا الفن في النوع ، وفي العصر والطرز ؛ ففيه القديم والحديث وما بين ذلك ، من آيات المثالين والمصورين ، ومن آيات العصور البعيدة التي يتحدث عنها التاريخ القديم ، وفيه من طرف الأثاث ضروب وألوان ، بحيث لا يستطيع ذو الذوق المترف أن يدخله إلا لقي فيه فتنة أى فتنة ، وبحيث يستطيع ذو الذوق المترف أن يزوره مصححاً ومحمياً في كل يوم من أيام الأسبوع ، دون أن يقضى عجبه أو إعجابه بما فيه من هذه الروائع والآيات . فاذا مر الشاعر قصير الخطو بطى السعى بهذه الآيات والروائع ، غير واقف عندها ولا مطيل نظره إليها ، فذلك الدليل كل الدليل على أنه معجل حقاً ، وعلى أن الذى يعجله عما أحب وما سيحب دائماً ، لا يمكن أن يكون إلا أمراً ذابال .

ومما يدل على أن الشاعر كان معجلاً حقاً ، وعلى أنه كان أشد عجلة منك ومنى إلى لقاء صاحب القصر ، أنه انتهى إلى البهو الذى ينبسط أمام المكتب ، وهم أن يمضى إلى المكتب فيطرق بابه طرقتاً خفيفاً ، دون أن يقف وقفته تلك الطويلة ، أو يدور دورته تلك البطيئة ، حول هذه الكتب التى نُسقت أجمل تنسيق وأدقه إلى هذه الجدران العراض المرتفعة ، ودون أن يمر يده في كثير من الحب والمهيام على صفوف هذه الكتب ، كأنما يحببها بيده تحية تشبه عطف

الأب حين يسمح رأس ابنه في كثير من الحنان . وربما أخذ منها كتاباً ، فجمع يديه حول دفتيه ، ثم فتحه ونظر فيه قائماً فأطال النظر ، ثم أثر صحبة الكتاب على لقاء صديقه ، فأنحاز إلى زاوية من زوايا البهو ، وفرغ لكتابه منصرفاً إليه عن كل شئ وعن كل إنسان ، حتى يأتي صديقه ، فيفرق في عنف أو في رفق بينه وبين هذا الكتاب الحبيب . ولكنه في هذه المرة لم ينظر إلى الكتب ، كما أنه لم ينظر إلى التماثيل والصور ، إلا نظرات قصاراً خاطفة ، ومضى أمامه مستأنياً ، يريد باب المكتب ليترقه ويفتحه ويغلقه من دونه حين يسمع الاذن له بالدخول . غير أنه لم يمكّن من الوصول إلى الباب ؛ فقد لقيه الخادم مكبراً له حفيماً به ، ولكنه يؤذنه بأن سيده لن يلقى أحداً الآن ، لأنه خالٍ في هذه الساعة إلى ضيف قد أقبل منذ حين .

ولست أدري أَرْضَى الشاعر عن هذا الحجاب أم ضاق به ، ولكني أعلم أنه تحول في بطاء إلى صف من صفوف هذه الكتب ، لحياه بطرفه ، ثم مسح يديه ، ثم استخرج منه كتاباً ، وانزوى في ناحية من نواحي البهو ، وجعل ينظر فيه مقبلاً عليه غير فارغ له مع ذلك ، بل رافعاً رأسه ومدبراً طرفه في البهو من حين إلى حين ، كأنما كان يترقب أن يخلو له وجه صديقه هذا الذي جعل أمره يتعقد منذ اليوم .

وما أحب أن أقتحم الباب الذي لم يقتحمه الشاعر ، وأن أدخل بك على صاحب القصر خالياً إلى ضيفه ؛ لا لأني أخشى أن يردنا الخادم عن هذا الباب مكبراً لنا حفيماً بنا كما رد الشاعر ، أو ناهراً لنا متعللاً علينا ، كما كان خليقاً أن يصنع بكل من يحاول اقتحام هذا الباب .

فأنت وأنا مطمئنان إلى أننا نستطيع أن نقتمح الباب دون أن يشعر بنا هذا الحاجب ؛ لأن الفن قد منحنا هذه القلنسوة السحرية التي تخفينا على عيون الحجاب والرقباء ، وتتيح لنا أن نذهب حيث نشاء ومتى نشاء وكيف نشاء ، دون أن يستطيع أحد لنا ردّاً أو صدّاً ، بل دون أن يستطيع أحد أن يفتن لنا أو أن يشعر بـمكاننا .

ولست أدري لماذا لا يتبته القراءة إلى هذه الخصلة الرائعة من خصال الفن ، وإلى قدرته على أن يخفي الكاتب وقراءه على العيون والأسماع ، وسائر أدوات الحس والشعور ، بل على أن يتيح للكاتب وقراءه قدرة هائلة يلقون

بها مسافات الزمان والمكان ، وما يقوم في الزمان والمكان من عقبات تحول بين الناس وبين أن يروا ويسمعوا ويعلموا ما يريدون أن يروا وأن يسمعوا وأن يعلموا . فنحن نستطيع من غير شك أن ننسل إلى داخل المكتب دون أن يشعر بنا أحد ، وأن نرى صاحب القصر وضيغه ، ونسمع ما يدور بينهما من حديث دون أن يأذنا بدخولنا عليهما أو مكاننا مهما . بل نحن نستطيع أن نرقى إلى أى عصر من عصور التاريخ وما قبل التاريخ ، في أى قطر من أقطار الأرض ، فنرى ونسمع ونعلم ما نريد . كما أننا نستطيع أن نسبق الزمن ، وأن نمضى في أعماق المستقبل ، إلى حيث نحب أن نمضى في أى قطر من أقطار الأرض ، بل في أى نجم من نجوم السماء ، لا يجدد قدرتنا على ذلك إلا ما نريد نحن لا ما تريد الأحداث . وبعبارة أدق : يستطيع الكاتب وحده أن يفعل هذا كله وأن يبنى قراءه إن أراد بما رأى وما سمع وما علم ، أو ببعض ما رأى وما سمع وما علم . فأنا قادا إذن على أن أتجاوز باب المكتب ، وأشارك في زيارة هذا الضيف لصاحب القصر . ولكنى لا أفعل لسببين : أولهما يتصل بالأخلاق ؛ فأنا لا أحب اقتحام الأبواب ، ولا التسمع على الناس حين يتحدثون . وأبغض شئ إلى التطفل والوغول . ولن أغير من أخلاقي شيئاً لأرضى القراء ، مهما يكن حرصى على رضاهم ، ومهما يكن لرضاهم من خطر . والثاني يتصل بالفن ؛ فقد يحسن أن أعرف صاحب القصر إلى القراء قبل أن أدخلهم عليه ، حتى لأفاجهم به وضيغه . وبما يديران بينهما من حديث . ذلك أجدر أن يبيهم للقائه عن علم به ومعرفة لخصاله ، لفهم ما يصدر عنه من أعمال نائية ، وأقوال نائية عما يلائم الرشد والصواب

والقراء بعد ذلك ليسوا خيراً من الشاعر الذى هو صديق هم لصاحب القصر . وإذا كان هذا الشاعر قد رضى أن يُرَدَّ عن صديقه ، وقبل أن ينتظر حتى يخلو له وجهه ويؤذن له بالدخول ، فليس على القراء بأس ، من أن ينتظروا كما انتظر .

والشاعر يستعين على الانتظار بالكتاب الذى ينظر فيه ، فليستعن القراء على الانتظار بما أسوق إليهم عن صاحب القصر من حديث . وقد لا يكون هذا الحديث ممتعاً إمتاع هذا الكتاب الذى ينظر فيه الشاعر ، ولكنه سيكون على كل حال كلاماً بقرأ . وما أكثر ما يفرغ القراء للكلام المكتوب

الذى يساق إليهم في كل يوم ، على ما يكون فيه من سخط ، وعلى ما يكون له من قيمة وإمتاع !
ورءوف صاحب القصر شيخ تقدمت به السن شيئاً ، ولكنها لم تبلغ من قوته ولا من شباب قلبه وجسمه شيئاً ، وإنما هو رجل طوال ، يميل إلى البدانة أكثر مما يميل إلى النحافة ، وهو رائع الطلعة ، رائق المنظر ، لا تقتحمه العين ، وإنما تتصل به فتطيل الاتصال ، تجد شيئاً من اللذة في النظر إلى وجهه الذى لا يخلو من جمال مهيب ، والذى تضطرب فيه عيتان صغيرتان نفاذتان ، فيما شئ من حدة ، ولكنها تصوران هدوءاً ودعة وثقة ، تقرأ فيهما الايمان بالنفس ، والشك فيما عداها ومن عداها من الأشياء والناس . وتقرأ فيهما الرضا المطمئن عن النفس ، والسخط على من عداها وما عداها من الأشياء والناس . وتقرأ فيهما أن لصاحبها ضميراً مرناً أشد المرونة ، يسيراً أعظم اليسر ، يؤثر نفسه بكل شئ ، ويرى أن الحياة لم تخلق إلا له ولم توقف إلا عليه ، وأنه إنما يحتمل مشاركة الناس له فيها احتمالاً ، ويطبقها عن تفضل وتطول .

تقرأ في هاتين العينين الأثرة في أبشع صورها ، وفي أطرف صورها أيضاً . وهذه القراءة لا تكذبك ولا تغفرك عن الحقيقة الواقعة ؛ فصاحبنا أثر كأبشع ما تكون الأثرة ، وكأطرف ما تكون الأثرة في وقت واحد . يندفع إلى ما يريد في غير هواده ولا أناة ولا إسماح ، لا يقبل أن تقوم بينه وبين ما يريد عقبة مهما تكن طبيعتها ، ومهما يكن مصدرها . وهو من أجل ذلك غضوب ، جامع الغضب ، عنيف مسرف في العنف ، لا يروض الصعاب حين تعرض له ، وإنما يحطمها أو يحطم نفسه من دونها . وهو من أجل ذلك يمر حتى لا يسبغ مذاقه أشد الناس رياضة لنفسه على احتمال المكروه والصبر على الأذى ومراس أصحاب العنف والجماح .

ولكنه على ذلك تحلو شمائله ، وتحسن أخلاقه ، وترق حواشيه حين يقبل على اللذة ويأنس إلى الناس ، لا يصدر في عنفه ولبنه عن بغض للناس وحب لهم ، وإنما يصدر فيهما عن حب لنفسه وإيثارها بما يراه خيراً ؛ بيتغى ذلك باللين ، حين يكون اللين سبيلاً إليه ، وبيتغى ذلك بالعنف حين لا يكون من العنف بد . وهو على كل حال أقل الناس حظاً من القصد والاعتدال . لاتراه يوماً

أو ساعة على خلق سواء ، وإنما هو مندفع في الغضب حتى يصرف الناس عنه ، أو مندفع في الرضا حتى يتهالك الناس عليه . وأصل ذلك فيما يظهر أنه كان وحيد أبويه ، قد ولد في بيئة ناعمة مترفة ، موفورة الحظ من الثراء ، قد يسرت لها الأمور كلها تيسيراً ، ولم يولد له إخوة يشاركونه في حب أبويه له ، وعطفهما عليه ، وحرصهما على تدليله وتنويله كل ما تطمح إليه شهواته الحاججة أو تطمع فيه أهواؤه التي أرسلت على سجيته إرسالا . وقد وصف الشاعر القديم بعض المدوحين بأنه لم يقل «لا» قط إلا في تشهده ، وبأن لاءه كانت خليقة أن تكون «نعم» لولا تشهده وإيمانه بالله . ويمكننا أن نقول إن صاحبنا هذا لم يسمع «لا» قط في صباه ولا في شبابه إلا حين كان يتعرض لما كان يمكن أن يسوءه أو يؤذيه . ومع ذلك فقد كان أبواه والموكلون بخدمته لا يصدونه عما يسوءه ، ولا يردونه عما يؤذيه إلا في كثير من الرفق والاحتيال ، وفي ألوان من الترغيب والاعراض ، بحيث لم يكن يشعر أن هذه الكلمة البغيضة لكلمة «لا» تقال أو توجه إليه . لم يكن يسمع هذه الكلمة ، ولكنه كان يقولها كثيراً : يقولها لأبويه ، ويقولها لخدمه ويقولها لأترابه حين يلتقي أترابه ، وكان هؤلاء جميعاً يسمعون منه هذه الكلمة ، فيرضون عنها ، ويبتهجون بها ، ويستجيبون لها . ولذلك نشأ على حب هذه الكلمة حين يجرى بها لسانه هو ، وعلى بغضها حين يجرى بها لسان غيره من الناس . وكان من الطبيعي ألا يعرف المضاعف ، ولا يمرن على رياضتها وتدليلها . وكان من الطبيعي كذلك ، ألا يفهم كيف يمتنع عليه غرض من الأغراض ، أو يفوته أمل من الآمال . كان مدللاً كأقصى ما يكون التدليل ، مترفاً إلى أبعد حدود الترف ، سيء الخلق من أجل ذلك كأسوأ ما يكون الخلق ، ضعيفاً كأشنع ما يكون الضعف ، عنيفاً كأشنع ما يكون العنف . وليس من الغريب بعد ذلك أن نلاحظ أنه ، وقد أنفق حياة فارغة ميسرة ، لم يتعلم إلا بمقدار ما استطاع ، وبمقدار ما أتاحت له هذه الحياة المدللة المترفة أن يتعلم . فهو لم يذهب إلى مدرسة ، وإنما سعى إليه المعلمون . وهو لم يدع قط لعلم أو أستاذ ، وإنما أذعن له دائماً أساتذته ومعلموه . منهم من وجد إلى قلبه سبيلاً ، فألقى فيه بعض العلم وأودعه بعض المعرفة ، ومنهم من لم يجد إلى قلبه سبيلاً ، فتملق أهواءه وتزواته ، وقنع من الجهد بما كان يتاح له من الأجر في آخر الشهر . وما ينبغي أن تغرك آيات الفن . هذه التي نستمت في القصر أحسن تنسيق ،

ولا صفوف الكتب هذه التي ملأت هذا البهو العريض مما يلي مكتبه ؛ فهو لم يكسب من هذه الآيات ولم يجمع من هذه الكتب شيئاً ، وإنما وجدها في القصر ، فلم يحفل بها أول الأمر ، ثم جعل يقف عند بعضها من حين إلى حين ، ثم فتن بها فتنة مصدرها الغرور أول الأمر ، ثم أصبحت جزءاً من حياته ، لا يستطيع أن يستغنى عنها ، ولا يتصور أن يعيش دون أن يراها مصباحاً وممسياً . ولم يكد يبلغ أول أطوار الشباب ، حتى استجاب لدعاء شهواته وغرائزه ، فعبت ما شاء له العبت ، وأفسد ما شاء له الفساد . وهم أبواه أن يكفاه عن بعض ذلك في تلطف ورفق ، فلم يبلغا منه شيئاً ، وإنما كان لومهما له إغراء ، ولصحبهما له دفعاً إلى الغلو والاسراف . ثم أتاحت له الغربة ، ففارق القصر والربوة إلى ما حولها ، وطوف في الآفاق الغربية ، وأقام في العاصمة فأطال المقام ، ثم طوف في الآفاق البعيدة ، وزار العواصم الكبرى ، وألم بمواطن الجد والهزل ، وعاد إلى أبيه فتي كامل الفتوة ، قد ردتته الحياة إلى شئ من القصد في سيرته ملاً أبويه إعجاباً به ورضاً عنه ، وأتاح له النظر في شؤون الأسرة قليلاً قليلاً . ولم تمض أعوام حتى كان مستقلاً بكل شئ ، متصرفاً في كل شئ ، ملغياً أباه من كل جهد ، ناهضاً من دونه بكل عبء .

ولست أعرف شيئاً أشد تعقيداً ، ولا أكثر اختلاطاً ، ولا أسرع على الفهم من نفس الانسان ؛ فهي ملتقى المتناقضات ، وهي غريبة فيما يختلف عليها من الأطوار . لقد كان كل شئ في صبا رءوف يؤذن بأنه سيكون فتي ضائعاً ، مضيعاً ، لا يغنى عن أسرته شيئاً ، وإذا هو يعود إليها فتي رشيداً إلى حد ما ، قادراً على النهوض بالأعباء ، نافذاً حين يتصرف في الشؤون ، بعيد الحيلة حين يحتاج إلى بعد الحيلة . وكان هذا خليقاً أن يلتقى في روع الذين يعرفونه من قريب انه الفتي كل الفتي ، قد جمع من أخلاق الرجال ما ينأى به عما يعيب ، ويرتفع به عن الصغائر ، ويهيئه لجلال الأعمال . وقد كان فيه من هذا كله شئ ، ولكنه على ذلك كان ضعيفاً أمام غرائزه ، مهالكا على لذاته . يسمو إلى الجليل من الأمر ، ويعنى مع ذلك بالصغائر وسفاسف الأمور عناية مؤذية . يضبط نفسه أحياناً ، فيبلغ من ضبطها ما يريد ، ويحملها من عظيم الأمر على ما يجب ، ثم يرسل لها العنان فجاءة ، فاذا هي تتابع الهوى حتى تجور عن القصد ، وتتورط في أعظم الشطط .

ما وراء النهر

وقد التمت الأسرة لابنها الزوج التي تلائم مكانه ، وجماله ، وثرائه . فوقت لما أرادت . وأصر الفتى إلى أسرة صاحبة ، وسعد ب حياة زوجته ناعمة ، ولكن هدوءها لم يتصل ؛ فقد كان رءوف صاحب نزوات طالما آذت زوجه ، وطالما آذته هو ، وطالما أرهقته وأرهقت زوجته من أمرهما عسراً . ويمكن أن يقال إن نعيابنه قد نشأ في بيئة ظاهرها النعمة ، وباطنها النعمة . كل شى من حوله ميسر إلا أمر أبويه ، فانه كان عسيراً أشد العسر ، ملتويماً أعظم الالتواء . وكل قارى يستطيع أن ي تصور لنفسه حياة هذه القصور التي يملؤها الترف ، ويشيع فيها النعيم ، وتفيض من حوطا السعادة ، ولكنها تشتمل في أعماقها على غرفة أو غرفتين من غرفات الجحيم ، لا يرى الذين يأوون إليهما فيهما إلا الشر كل الشر ، والنكر كل النكر ، والعذاب كل العذاب . ولم يكن قصر رءوف الذى نشأ فيه نعيم إلا واحداً من هذه القصور : سعادة ظاهرة ، وشقاء خفى . أب يلهو ما وجد إلى اللهو سبيلاً ، وأم تشقى ما استطاعت المرأة أن تتحمل الشقاء ، وخصومة وعبوس حين يلتقى الزوجان ، ووافق وابتسام حين يظهران للناس ، والصبي بين هذا كله يرى ويسمع ويحس ، ويسجل قلبه الصغير كل ما يرى ويسمع ويحس . وهو يؤثر أمه البائسة بالحب والرحمة والرثاء ، ويختص أباه الماخن بكثير من السخط واللوم ، ولكنه يخافه أشد الخوف من جهة ، ويعجب به أشد الإعجاب من جهة أخرى . يكره سيرته مع أمه ، ويرضى عن سيرته مع الناس ، ويعجب بسيرته مع نفسه ، ويتحدث إلى ضميره ، بأنه إذا شب فسيكون أبر بزوجه من أبيه ، ولكنه سيسير سيرة أبيه في الناس ، وسيؤثر نفسه من متاع الحياة بمثل ما يستمتع به أبوه . على أن رءوفاً لم ينشئ ابنه كما نشأه أبواه ، وإنما أخذه بشئ من الصرامة والحزم ، فكان هذا أيضاً مصدراً للخصومة بينه وبين زوجته ، ومصدراً للتعقيد في نفس الصبي الذى كان يجد من أمه اللين والاسماح ، ويجد من أبيه الصرامة والحزم ، فيرضى ويسخط ، ويجب ويغض ، وتتعد نفسه على مر الأيام تعقداً شديداً .

وقد كنت خليقاً أن أمضى معك في الحديث عن حياة رءوف في شى من التفصيل ، وعن نشأة نعيم في شى من الاطناب ، لولا أن باب المكتب يفتح ويخرج منه رءوف متضحكا ، يشيع ضيفه إلى سلم القصر ، ثم يعود وهو لا يكاد يملك نفسه من ضحك يريد أن يملأ أبهاء القصر . فيصرف الشاعر عن كتابه ،

ويصرفنى أنا عما كنت اقص عليك من حديث . وها هو ذا قد أقبل على الشاعر مغرقاً فى الضحك ، يمول فى صوت متقطع : ها أنت ذا ! لقد أطلت انتظارك منذ اليوم ، وإنى لراض عن اضطرارك ، إلى أن تنتظرنى كما انتظرتك . قال الشاعر وهو ينهض متاثقاً ، ويرد الكتاب إلى مكانه من الصف : لست أدرى أينما انتظر صاحبه ! لقد ذهبت إلى حيث تعودنا أن نلتقى ، فأبئت بأنك تنتظرنى فى هذا المكتب . ولن أبلغ من الحمق وخطل الرأى أن أترك اللجنة النضرة ، والسماء الصفو ، والجو الصحو ، والنهر الجميل ، لأحبس نفسى معك فى هذا المكتب وإن كان جميلاً أيقاً . على أنى لم أستطع حتى أن أستمتع بالخلوة إلى هذا الجمال وقتاً قصيراً ؛ فقد أقبل ابنك نعيم ، فغص على كل شىء . قال رءوف وهو يغرق فى الضحك : ابنى نعيم ! فهو إذن قد لقيك ، وقد ألقى إليك بسخافاتة التى لا تنقضى ، والتى ليس لها رأس ولا ذيل . ولكن هلم ! ما قيامنا فى هذا الجهو؟ أقبل ، لأحبسك فى هذا المكتب الذى تكره أن تجلس فيه ، أقبل واجتهد فى ألا تتحنى على العصا إن استطعت ؛ فان نفسى ليست ميالة إلى شعر جرير ، أقبل واعدل قامتك إن استطعت إلى ذلك سبيلاً . لعلك قد شربت قهوتك على ضفة النهر مستمتعاً بالجنة النضرة ، والسماء الصفو ، والجو الصحو ، والنهر الجميل ، أم تريد قدحاً آخر من القهوة ؟ ولكن النهار قد انتصف أو كاد ينتصف ، ولم يبق بيننا وبين الغداء إلا ساعة وبعض ساعة . ما تقول فى قدح من قهوة أخرى خير من قهوتك تلك التى احتسيتها على ضفة النهر الجميل ؟ ثم أعرف فى ضحك طويل ، والشاعر قائم واجم ينظر إليه ويسمع منه ، ولا يفهم عنه . فلما سكت عنه الضحك ، قال بصوت ضخم مرتفع : الشراب يا غلام . ثم عاد إلى ضحك متقطع ، وأخذ بذراع الشاعر وهو يقول : إعتد على ذراعى إن شئت ، أو تغلق بها إن أحببت ، ودع عصاك لا تأخذها يمينك ولا تنحن عليها ؛ فقد كان يقال لنا فى طور التأديب إن المهذبين من الناس لا يستصحبون عصيهم إلى حيث يستقبلون ، وإنما يتركونها فى مواضعها المقسومة لها حين يدخلون الدور أو القصور . هلم ! هلم ! ثم مضى يقود الشاعر وكأنه يحمله حملاً ، ويعلقه فى الهواء تعليقاً ، حتى انتهى إلى مكتبه ، فأجلس الشاعر ، أو قل وضع الشاعر وضعاً على كرسى عريض وثير . وهم الشاعر أن يتكلم ، ولكن رءوفاً أوماً إليه أن لا يفعل ، وقال فى صوت هادى بعض الشىء : لا تسألنى الآن

عن شئ ولا تحدثني الآن بشئ ، وإنما أرح نفسك وارحني من الحديث والاستماع ، حتى إذا أقبل الشراب وفرغنا من القدح الأول ، أخذنا في الحديث ؛ فأنبأتني بما عندك ، وما أرى أنك ستبئني بشئ ذي خطر ، وتحدثت إليك بما عندى ، وما أرى إلا أنى سأشغلك بقية يومك . فأسلف نفسك شيئاً من الراحة ؛ فانك ستستقبل بعض العناء . ثم انصرف عنه ، وجعل يذرع الحجره ذاهباً جائئاً ، مغرقاً فى تفكير عميق .

وأقبل الخادم يحمل قواريره وأكوابه ، وهم أن يملأ القدحين . ولكن رءوفاً قال له فى لهجة حلوة ، وعلى ثغره ابتسامة راضية : لا تشق على نفسك يا بنى ، فسأقوم عنك بهذا الجهد ، ولكن امنع علينا بابنا ؛ فلسنا فى حاجة إلى الواغلين . فانحنى الخادم وانصرف وأغلق الباب من دونه . وأقبل رءوف على قواريره وأكوابه فصب ومزج ، وقدم إلى الشاعر قدحه وهو يقول :

وكأس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها

فاشرب هذه على لذتك ، ثم أداويك منها بالأخرى .
قال الشاعر : إن أمرك لعجب منذ اليوم أتخذ هذه الحجره لنفسك سجناً منذ آخر الليل ، وتحظر على نفسك النزول إلى الحديقة والاستمتاع بصفاء السماء وجمال النهر ، ولا تصيب من طعامك شيئاً حتى يظن الخدم بك الظنون ، ثم ها أنت ذا الآن لا تملك نفسك ولا تضبط أمرك ، وإنما تندفع فى ضحك لعل البكاء . . . وهنا قاطعه رءوف قائلاً : أن يكون خيراً منه . كلا يا سيدى كلا ! إنه الضحك الذى يصور الرضا ، والأمن ، وصفاء النفس ، واطمئنان القلب . ولكن ألم أقل لك إنا لن نتحدث حتى نفرغ من قدحنا الأول ! ثم قال بعد صمت قصير : بعداً للخدم ! لاسبيل إلى أن نخفى عليهم شيئاً ، ولا سبيل إلى أن نكف ألسنتهم عن الحديث بعلم ويعير علم .

أكان الظمأ هو الذى دفعهما إلى الاسراع فى الشرب ، أم كان التلهف على الخمر هو الذى أغراهما باستنفاد ما فى القدحين ، أم كان تعجل الحديث هو الذى حثهما على أن يتعجلا إزالة ما بينهما وبينه من هذه العقبة الرائقة الشائفة التى لم يكن شئ أحب إليهما من إزالتها؟ مهما يكن من شئ فقد أقبل كل منهما على قدحه شرهاً ، فلم تمض إلا دقائق حتى ارتويا هما ، وظمى القدحان .

ونفض رءوف فأعاد إلى القدحين ربيهما ، وأعاد إلى نفسه وإلى صديقه ظمأهما ، ولكنه كان ظمأ هادئاً مستأنياً لا عجلة فيه ؛ فأقبل كلا الرجلين على صاحبه يستبقان إلى الحديث استباقاً ، وأقبل كلا الرجلين على قدحه يحسو منه في تمهل مثل حسو الطير ماء التمام . قال رءوف متصاحكا : أما الآن فنستطيع أن نستمع لى يا أبت أو يا بنى ؛ فسبك وانخاؤك على العصا يجعلانك لى أباً ، وسذاجتك وسلامة نفسك تجعلانك لى ابناً ؛ فلى من غير شك أن أدعوك بأى الدعاءين شئت . استمع لى إذن ، وافهم عنى ولا تعجل على ؛ فانك لن تتبئى بشئٍ أجعله . لقد أنبأك نعيم بجه ، وثورق على هذا الحب ، وإصراره على أن يمضى فيما بدأ ، وعطف أمه عليه ، ونطقى بهذه الكلمة التى تفرق بين الالفين . وكل هذا حق . ولكن التئى الذى لم ينبئك به نعيم لأنه لم يكن يعلمه ، ولعله لا يعلمه إلى الآن، هو أن الستار قد أسدل على بعض هذه المأساة ؛ فقد اختطف الموت من نعيم هواه . ثم أطرق حيناً وأقبل على قدحه ، فحسا منه حسوة وردة إلى مكانه فى هدوء ، والشاعر واجم لا يدرى كيف يقول ، كأنما سقطت عليه الصاعقة . قال رءوف : نعم ! ماتت خديجة ، قتلها أخوها انتقاماً لشرفه فيما يظهر ، كأن لأمثال هؤلاء الناس شرفاً نراق فى سبيله الدماء ، ويحتمل فى سبيله العقاب والعذاب . لقد تغيرت الدنيا وفسد الناس ، وهبت على هؤلاء البائسين من أهل القرية وأمثالهم ريح لا أدرى من أين جاءتهم ، ولكنها حملت إليهم شراً عظيماً : علمتهم أن لهم شرفاً ، وأنهم يستطيعون أن يغضبوا لهذا الشرف ، وأن يسفكوا فى سبيله الدم ، ويتعرضوا فى سبيله للموت . ومن يدرى ! لعلها علمتهم ، أو لعلها أن تعلمهم أشياء أخرى ، ليست أشد من هذا نكراً . ولن أدهش إذا أنبت غداً ، أو بعد غد ، بأن هؤلاء الناس يضيقون بخضوعهم لنا ، وتسلطنا عليهم ، ويرون أن لهم فى أنفسهم حقوقاً يدافعون عنها ، ويتكلفون فى الدفاع عنها ما لم يتعودوا أن يتكلفوا ، وأن لهم فيما تخرج الأرض من الثمرات حقوقاً أكثر مما نعطيتهم ، وأن لهم فى الحياة مطامع وآمالاً لم تكن تخطر لهم من قبل . كل هذا ممكن ، وكل هذا خطير سيء العاقبة . لقد كنا نرى هؤلاء الناس يسعدون السعادة كلها حين تهبط إليهم أبصارنا وحين نختمهم بشئٍ من العطف ، أو نلقى إليهم شيئاً من التحية . لقد كان أعظم ما يطمحون إليه أن يرقوا إلى هذا القصر خداماً لأهله ، فاذا رقوا إليه وظفروا بالخدمة

فيه ، فأعظمهم حظاً من السعادة ، أقربهم مكاناً من السادة . فأين نحن من هذا الآن ! أتري إلى ابنة الحذاء يؤثرها ابن سيدها بعطفه ويختصها بحبه ، ويمنعها مكاناً من قلبه ، فتنعم وتسعد ، وتري في هذا الايثار حليماً لم يكن يتاح لأمثالها ولكن أخاها ينكر ، ثم يغضب ، ثم يثور فيقتل أخته ... ولو قد استطاع لقتل معها شخصاً آخر . وهنا برقت عيناه بريقاً مخيفاً ، وجرت في جسمه كله رعدة خفيفة ، لم يلبث أن ردها إلى الهدوء ، ثم أقبل على قدحه فألقى ما فيه في جوفه إلقاء . ثم نظر إلى الشاعر نظرة حادة وهو يقول : إنك لقليل النشاط إلى الشراب ، أفرغ قدحك كما أفرغت قدحي . ولم يجب الشاعر كأنه لم يسمع منه . قال رءوف وهو يضرب بيده على المائدة : أسمح لي أفرغ قدحك ، كما أفرغت قدحي ؟ أو قم عني ؛ فلست في حاجة إلى الجلساء الفاترين . وكان الشاعر يعرف صديقه حق المعرفة ، ويعلم أنه عنيف إذا غضب ، منكر السيرة إذا عريد على نديمه . فلم يكذب يسمع طرق المائدة حتى هب من وجومه مذعوراً . ولم يكذب يسمع نذير صاحبه حتى أسرع إلى القدح فصبه في فمه صبا . قال رءوف وقد نهض متضحكا : أما الآن فنعم . ثم أقبل على زجاجاته فصب ومزج ، وعاد إلى مجلسه هادئاً مطمئناً ينظر إلى قدحه متبالكا عليه .

قال الشاعر : لقد أنبأني نعيم أنه أرسل فتاته أمس إلى العاصمة ، ليلحق بها اليوم فكيف . . . قاطعه رءوف قائلاً : كيف قتلها أخوها ، أو أين قتلها ؟ أدركها في العاصمة ، وقتلها بملا من الناس ، وأسلم نفسه للشرطة . واكبر الظن أنه كان يرقب أخته ، وأنه كان يعلم من أمرها كل شيء ، وأنه كان يدبر هذا الشر تدبيراً . والمهم أنه فعل فعلته ، وأنه بهذه الفعلة قد رد عنا شرّاً عظيماً ، ونهبنا لخطر عظيم . أراحنا من هذا الزواج المنكر ، وقطع على نعيم طريق التمرد والعصيان ، ونهبنا إلى أن في أمثاله من أهل القرية نزوعاً إلى شيء جديد ، فيجب أن نسير معهم سيرة جديدة ، وأن نلائم بين طموحهم هذا الطارىء وسياستنا لأموهم

ولكن هذا حديث لم يكن حينه بعد ؛ فقد نستطيع أن نفكر ونروى متى أتيج لنا التفكير والتروية ؛ فأما الآن فقد يظهر أن لدينا ما يشغلنا من الأمر . ثم رفع القدح إلى فمه فكاد يأتي على نصف ما فيه . ثم أشار إلى الشاعر أن اشرب . قال الشاعر : إن لم تكن في حاجة إلى عقلك ، فقد تكون في حاجة إلى

بعض عقلي ؛ فأمهلي ولا تشتط علي . قال رءوف : أما أنا فشديد الحاجة إلى عقلي كله ، وإنك لتعلم أن الخمر أعجز من أن تذهب به . وأما أنت فلست في حاجة إلى عقلك ؛ لأنني لا أريد منك روية ولا تفكيراً ولا مشورة ، وإنما أريد منك طاعة وتنفيذاً للأمر وتحقيقاً لما أريد .

قال الشاعر : وعندك إذن أمر تريد أن تصدره إلى ؟ وما عسى أن يكون هذا الأمر ؟ قال رءوف : أتعرف لماذا حجبك أنفاً ؟ قال الشاعر : لأنك كنت مشغولاً ببعض الضيف . قال رءوف : ألم تر هذا الضيف ؟ ألا تعرف من هو ؟ قال الشاعر : لقد كنت مشغولاً عنك وعنه بالنظر في ذلك الكتاب . قال رءوف : فانه حاكم الاقليم ، قد أقبل يزورني ، ويسألني في بعض حديثه عما سمع من أن نعيماً معتزماً أن يسافر إلى إيطاليا وغيرها من بلاد أوروبا ، ليقضى عاماً أو أكثر من عام . قال الشاعر : فاني لم أسمع قط بشيء من حديث هذه الرحلة . قال رءوف : لم تسمع أنت ، ولكن حاكم الاقليم سمع ، وأقبل ينبئني بما سمع . ويجب أن يتحقق ما سمع ، وأن يرحل نعيم إلى حيث يريد من بلاد الله ، فيغيب عن هذه الأرض عاماً أو أكثر من عام . في هذه الرحلة تهدأ نفسه ، ويستقر قلبه بين جنبيه ، ويسترد شيئاً من صواب ، وينتفع بما تفرضه الغربة على المغتربين من التجارب . أعدده إذن لهذه الرحلة ، ويسر له أمرها ، واصحبه فيها إن شئت أو شاء ؛ ذلك أجدر أن يريح الأسرة من بعض اللغط ، وأن يرد عنها بعض الشر ، وأن يصلح بعض ما في النفوس . ثم رفع القدح وأتى على ما فيه ، وأشار إلى الشاعر فلم يجد منصرفاً عن الطاعة ، فأفرغ قدحه . وهم رءوف أن يصب ، ولكن الشاعر استعفاه قائلاً : لم أحتج قط إلى عقلي كما أحتاج إليه الآن . وإذا لم يكن للخمر سلطان عليك ، فان سلطانها على عظيم . ثم نهض متثاقلاً . قال رءوف : إلى أين ؟ قال الشاعر : إلى حيث ألقى نعيماً ، ثم إلى حيث أصلح من أمري ، ثم إلى حيث أنفذ ما تريد . قال رءوف : إن نعيماً مسافراً إلى العاصمة اليوم ؛ فاصحبه في سفره ، وتحدث إليه أثناء الطريق . وما زال عندك فضل من وقت فأقم ؛ فما أريد أن أجلس وحدي إلى مائدة الغداء . ثم ضرب إحدى يديه بالأخرى ، فأقبل الخادم ، فأشار إليه أن يرفع أداة الشراب ، وقال له وهو ينصرف : أرسل إليّ خليلاً .

وخليل هذا كاتب من كتاب القصر ، أقبل بعد قليل ، فلم يكذب ينحني

ويلقى التحية حتى ابتدره رءوف قائلاً : ألم أسمع أن شراً عظيماً قد نزل ببعض أهل القرية ؟ قال خليل في صوت خافت متهدج : هو محمود الخذاء أصيب في ابنه جميعاً ، قتل ابنه أحمد أخته خديجة ، وأسلم نفسه إلى الشرطة . قال رءوف : اذهب فواسه ، ويسر له العسير من أمره ، وأعنه على الرحيل عن القرية إلى حيث يشاء إن أظهر رغبة في الرحيل . قال خليل : الرحيل ! وإلى أين يمكن أن يرتحل ؟ قال رءوف في صوت كاد يمتد ولكنه رده إلى الهدوء : اذهب فأنفذ ما أمرتك به . فلم يستطع خليل إلا أن ينحنى ، ويحيى ، وينصرف . ولم يكذ يغلق الباب من دونه حتى قال رءوف : بعداً لهؤلاء الموظفين ! ما أعظم حظهم من الغباء !

قال الشاعر وهو يشعل سيجارة : أما أنا فان لى من الغباء حظاً ، ولكنه ليس عظيماً فيما أظن . قال رءوف : وما ذلك ؟ قال الشاعر : إن لم أكن كهؤلاء الموظفين فقد يخيل إلى أنك تريد أن تحدث من حولك فراغاً ، وأن تعرض أمامك لوحة بيضاء كما يقال . فلم يجب رءوف ، وإنما استلقى في أعماق كرسيه ، وأغرق في صمت طويل ، ثم قال في صوت يشبه صوت النائم : لا أريد إلا أن أستريح . قال الشاعر : وتريد أن يستصحب نعيم أمه في سفره البعيد ؟ فأشار رءوف بيده إشارة المتعب المكدود ، وقال : هيات ! ذاك شئ لاسبيل إليه . ستبقى حيث هى ؛ فانما هو لسان هفا فسبق بكلمة لا تقدم ولا تؤخر . وما أكثر ما يهفو الناس ثم يصلحون هفواتهم !

ولبت الرجلان في مكثهما ثابتين مطرقتين لا يديران بينهما حديثاً ، ولا ينظر أحدهما إلى صاحبه . ولو قد رآهما راء لقدراً أن قد استحالاً تمثالين جامدين . ثم أزعجهما عن سكونهما هذا طرق الباب ، ثم ظهور الخادم يدعوها إلى المائدة . وما أظنك تريدنى على أن أصحبهما إلى المائدة ، ولا على أن أرافقهما بعد غدائهما لأشهد ما يجرى حولها وحول الأسرة كلها من الخطوب . فأنت تستطيع أن تقوم مقامى في ذلك ، وأن تتصور ما يحدث لهؤلاء الناس على اختلاف أشخاصهم وأمكنتهم من الأحداث كما تشاء ؛ فليس يعيننى الآن من أمرهم إلا أن الفتى قد ارتحل إلى أوروبا ، وأن أمه قد استقرت في مكانها من القصر ، وأن الشاعر قد عاد بعد رحلة قصيرة إلى العاصمة ، فاستقر في جناحه المقسوم له واستأنف حياته كعهده قبل أن تحدث هذه الأحداث ، يلقي رءوفاً حين يرتفع

الضحى فيتزده معه في الحديقة ، أو يجلس معه على ضفة النهر ، أو يخلو معه في مكتبه ، يتحدث إليه ويسمع منه ، وينشده من شعره ، ويترأ له ما شاء الله أن يقرأ في هذا الكتاب أو ذلك . وقد يلقاه إذا أقبل المساء فيستأنفان حياة كحياتهما في أول النهار . والأيام تمضي مسرعة أو مبطئة ، وأكبر الظن أنها تمضي مسرعة بالقياس إلينا نحن لأن أيام القصص مسرعة دائماً ، كما كان يقول لنا الذين كانوا يقصون علينا الأحاديث أثناء الصبا ، وتمضي مبطئة أشد البطء بالقياس إلى الذين يحيونها بالفعل ، إذا ألت بهم النوازل أو ألح عليهم الشقاء ، وتمر مر المسحاب بل أسرع من مر السحاب ، إن أتيت لهم حياة ناعمة راضية . وقد مضت الأيام على هؤلاء الناس مبطئة ومسرعة ، ولكنها مضت على كل حال ؛ لأن من طبيعة الزمن أن يمضي دائماً ، وهو لا يعرف الوقوف كما أنه لا يعرف الإسراع ولا الإبطاء ، وإنما هو يمضي على نسق واحد نراه نحن سريعاً حيناً وبطيئاً حيناً آخر .

وفي ذات ليلة جلس الصديقان في جوسقهما ذلك على شاطئ النهر يتحدثان في هدوء ودعة ، وقد سكن من حولهما كل شيء إلا هذا النهر الذي يجري في يسر ، وتصطفق أمواجه في خفة وعدوبة ، وإلا هذه الغصون التي يداعبها النسيم ، فيسمع لأوراقها هفيف وحفيف ، وإلا هذه الضفادع التي تسكن حيناً ، ثم تنق كأنها تنتظر من الليل شيئاً ، فإذا أبطأ عليها أو التوى بما تنتظر منه جارت بالسؤال والالجاج ، ثم ثابت إلى الدعة والسكون ، ثم استأنفت دعاءها ونداءها وإلحاحها .

ولست أدري فم كان الصديقان يتحدثان ، ولكني أعلم أن رءوفاً قطع الحديث فجأة ومس كتف الشاعر في رفق ، ثم قال له : أنظر إلى ما وراء النهر أترى شيئاً ؟ فمد الشاعر طرفه ثم رده ، ثم قال : تريد هذه النار التي تتألق على هذه القمة ؟ قال رؤوف : نعم ، متى عهدك بها . قال الشاعر : منذ أشهر . قال رؤوف : ولم تكن تراها قبل ذلك ؟ قال الشاعر : لا أعلم أني رأيته قبل أن تلم بنا تلك الأحداث . وهنا أطرق رؤوف إطرقة طويلة . ثم قال : أما أنا فأعرف متى رأيته لأول مرة . أتذكر تلك الليلة التي أنفقتها في مكتبي ساهراً أنتظر الصباح ! في هذه الليلة رأيت هذه النار تتألق من وراء النهر . ولست أدري لماذا وصلت نفسي الحائرة بين ظهور هذا اللهب المضطرب ، على هذه القمة

الساكنة ، وبين مصرع تلك الفتاة التي أغواها نعيم ، وقتلها أخوها في العاصمة على ملاء من الناس . لقد ألقى في روعي ليلتذ أن هذه الفتاة قد عبرت النهر لتستقر في حيث يستقر الذين يعبرونه دائماً ، وأن بين هذه الفتاة في دارها النائبة وبين دارنا هذه أسباباً لم تقطع وأوطاراً لم تنقض ، فهي تشير بهذا اللهب ، الذي يخفق دائماً ، ولكننا لا نراه إلا حين يجن الليل . إلى ما بينها وبيننا من أسباب وأوطار .

قال الشاعر وهو يرفع القدرح إلى فمه : تفسير لا بأس به . إنك لتعلم أن ما وراء النهر أشد غموضاً من أن تنفذ إليه أفهامنا . وطالما سأت النهر عما وراءه فلم ينبئ بشئ . قال رءوف : أما أنا فما أشك في صدق ما أحدثك به ، وإلما بال هذا اللهب لم يخفق ، وما بال أعيننا لم تراه إلا منذ صرعت تلك الفتاة ! ولكن في الأمر ما هو أشد من هذا غرابة وأعظم خطراً . أتعلم أني أجد في خفق هذا اللهب شيئاً يشبه أن يكون دعاءً لي ، وأن نفسي تنازعني إلى أن أعبر النهر ؟ قال الشاعر : حسبك ! فاني أخشى على عقلك الاختلاط . ولو علمت أنك تسمع لي إن أشرت عليك ، لقلت إن حاجتك إلى الرحلة والاعتراب ليست أقل من حاجة نعيم . قال رءوف في صوت يشبه أن يكون همساً ، وقد مال إلى أذن صاحبه كأنما يريد أن يسر إليه : فانك لا تعرف من القصة كل شئ . قال الشاعر : وفي القصة إذن شئ غير ما علمت ؟ قال رءوف : نعم ، في القصة أن هذه الفتاة كانت قد وقعت من نفسي موقعاً غريباً ، قبل أن يفتن بها نعيم .

ط حسين

البيع